

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رِيَاضُ الصَّالِحِينَ

شَرْحُ حَدِيثِ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيَصِلْ رَحْمَةً وَحَدِيثٌ: "هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطْعِيَّةِ"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب بر الوالدين وصلة الأرحام أورد المصنف -رحمه الله- حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه -أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))^(١).

سبق الكلام على بعض ما تضمنه هذا الحديث، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)) هذا حث وتحفيز، وذلك أن مثل هذا الأسلوب فيه دفع للمكافف وتحريض على الامتثال، ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)), ونكر الإيمان بالله واليوم الآخر وهذا كثيراً ما يقترن؛ لأن الإيمان بالله وبالاليوم الآخر يدفع المكافف إلى العمل والمحاسبة، فهو يدرك أنه سيف بين يدي الله -عز وجل- في يوم يجزى فيه على القليل والكثير، ولهذا في كثير من المواضع في القرآن وفي غير القرآن -في الحديث- **{إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}** {النساء: ٥٩}، وما شابه ذلك.

فـ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)) هذا يدل على وجوب إكرام الضيف وذلك من جهتين في هذا الحديث.

الأولى: أنه ربطة بهذا الشرط ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)).

الأمر الثاني: أنه جاء بصيغة الأمر صريحة؛ لأن صيغة الأمر "افعل" أكرم ضيفك، أو الفعل المضارع إذا دخلت عليه لام الأمر ((فليكرم ضيفه))، والأصل أن الأمر للوجوب إلا لصارفه يصرفه إلى معنى آخر، ولا شك أن إكرام الضيف من محسن الأخلاق ومكارمها التي جاءت بها هذه الشريعة.

((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيَصِلْ رَحْمَةً))، وهذا هو الشاهد هنا في هذا الباب، وصلة الرحم عرفنا أنها تكون بالمواساة بالمال إن كانوا محتاجين، أو بالتعاهد بالزيارة، وقد يكتفى عن ذلك بالتواصل معهم بوسيلة من وسائل الاتصال، كالهاتف ونحو ذلك، فيحصل به المقصود، وعرفنا أن الرحمة دوائر، فكلما كانتدائرة أقرب كلما كان الحق أثبت وأكيد.

قال: ((فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت))، وعرفنا قبل أن السكوت عن الباطل وكف الشر صدقة، والإنسان إذا كان يتكلم ويطلق لسانه في كل شيء فإن هذا اللسان يسترسل في أمور لا يجوز له الاسترسال فيها، ويلقى كلاماً لربما كان الكف عنه هو المتعين، ولربما يكون بهذا اللسان

^١- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، وخدمته إيهاب بن نفسه، (٣٢/٨)، برقم: (٦١٣٨).

الذي يتكلم يحصل أسباب سخط الله -عز وجل-، فإن الرجل قد يتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفاً^(٢)، كما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. فالإنسان لا يتكلم إلا بما يصلح وبما يحسن ويحمل أن يتكلم به، أو يسكت.

قال: وعنده قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم...)) يعني: من خلقهم، ((قامت الرحمة فقالت: هذا مقام العاذ بك من القطعية)) يعني: المستعيد المعتصم الملتجئ إليك، ((قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك؟ قالت: بل، قال: فذلك لك))، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: اقرعوا إن شئتم {فَهُلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد: ٢٢].^(٣)

{فَهُلْ عَسِيْتُمْ} يعني: يُنتظر منكم، يُتوقع منكم {إِنْ تَوَلَّيْتُمْ} يحتمل معنيين: الأول وهو تقسيم بعض أهل العلم {إِنْ تَوَلَّيْتُمْ} يعني: صرتم ملوكاً ولادة، صارت لكم ولاية، صرتم حكامًا تحكمون الناس، {أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ} يعني: إذا حصل لكم سلطُّةٌ أن يكون ذلك حاملاً لكم على الإفساد وقطيعة الأرحام. والمعنى الثاني: وهو الأقرب -والله تعالى أعلم- أن المراد: {إِنْ تَوَلَّيْتُمْ} يعني: أعرضتم عن الهدى ودين الحق الذي جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فماذا يُنتظر منكم؟، الإفساد وقطيعة الرحمة؛ لأن ما جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام- حت فيه على مكارم الأخلاق، وطاعة الله وطاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وصلة الأرحام، وكف الأذى عن الناس، والنهي عن الظلم، وما أشبه ذلك.

قال: اقرعوا إن شئتم {فَهُلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ* أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد: ٢٢-٢٣]، يعني: الموصوفين بهذه الأوصاف، الذين يفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم {أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}: يعني: صاروا صُمّاً عن سمع الحق، وأعمى أبصارهم فهم لا يرون الحق.

وفي رواية للبخاري: ((فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ وَصَلَّكَ وَصَلَّتْهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُه))^(٤)، ويكفي هذا في بيان أهمية صلة الرحم، فدل ذلك على أن صلة الرحم من الأصول العظيمة التي تكون مناطاً لنجاة العبد يوم القيمة، ((مَنْ وَصَلَّكَ وَصَلَّتْهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُه))، فلربما يكون الإنسان كثير الصلاة، كثير قيام الليل، كثير صيام النهار، والذكر وقراءة القرآن، إلا أنه قاطع للرحم، والنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه ((لا يدخل الجنة قاطع رحم))^(٥)، فيحتاج الإنسان إلى إعادة نظر في حاله وعمله، وتحقيقه لهذا المعنى، هل هو مقصر فيه، هل هو يصل رحمه.

^٢- أخرجه أحمد في مسنده، (٢٩٦/١٤)، برقم: (٨٦٥٨)، وابن حبان في صحيحه، برقم: (٥٧٠٦).

^٣- أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد: ٢٢]، (١٣٤/٦)، برقم: (٤٨٣٠)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطعتها، (١٩٨٠/٤)، برقم: (٢٥٥٤).

^٤- أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، (٦/٨)، برقم: (٥٩٨٨).

^٥- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطعتها، (٤/١٩٨١)، برقم: (٢٥٥٦).

فنسأل الله -عز وجل- أن يهدينا وإياكم لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق والأحوال، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.